محاضرة التطبيقات الأدبية الرابعة

في المحاضرة السابقة تطرقنا الى المنهج التاريخي وقلنا ان المنهج (هو طريقة البحث التي توصلنا الى نتائج مضمونه او شبه مضمونة في أقصر وقت ممكن).

وذكرنا أيضا ان المنهج هو الأداة التي تخص الباحث من التيه في الدروب الملتوية. وتكلمنا ايضا عن المنهج التاريخي وقلنا انه ظهر مع ظهور المدرسة الرومانتيكية قبل قرنين تقريبا مع بداية الثورة الفرنسية، التي نادت بضرورة التخلي عن الأفكار القديمة التي تؤدي الى الانحطاط والنظريات التي تؤدي الى التطور. واتباع هذا المنهج يؤمنون ان الاديب هو ابن بيئته وزمانه. أي دراسة الظروف التاريخية التي تحيط بالأديب وقت انتاجه للنص ومدى تأثير هذه الظروف سواء كانت هذه الظروف سياسية او اجتماعية او اقتصادية او دينية.

قد سجل النقاد مؤاخذات على هذا المنهج منها:

أولا:- ان هذا المنهج يهتم بعناصر تفسير النص تاريخياً واجتماعياً.

وهذا يؤدي الى اقتصار النص على تفسير المضمون واهمال الشكل الفني.

ثانيا:- يعتقد النقاد ان ما وصلوا اليه من نتائج هي نتائج جمعية وقطعية.

ثالثا:- أيضا من المؤاخذات على هذا المنهج نزوحهم نحو التعميم العلمي. واخذنا ذلك نظرية دارون في النشوء والارتقاء

رابعا:- واخيراً أن الادب ليس هو دائما تسجيل الواقع المعاش.

وتسجيل احداث الماضي، بل انما هو عادة ما يكون تسجيلا الرغبات في نفس الاديب.

خامسا:- تأثيره على الاستقراء الناقص، أي صعوبة تسجيل كل شيء عن الاديب او الشاعر من بداية حياته الى اخرها.

ومن رواد هذا المنهج هم (سانت بيف وجوستاف لانسون).

ومن العرب (**عباس محمود العقاد وطه حسين واحمد وامين وشوقي ضيف**).

طه حسين يعد من أبرز من استخدم هذا المنهج في دراسته عن الادب العربي القديم مثل كتابه (**حديث الأربعاء**) وتجديد ذكرى ابي العلاء المعري.

وخصص ثلثي كتابه الثاني لدراسة زمان **ابي العلاء المعري** ومكانه وشعبه والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية في عصره. فمثلا يتحدث عن أحزنه وفراقه لبغداد وبعد ان عاش فيها فترة من الزمن فيقول:

سلام على بغداد من كل منزل وحق لها مني سلام مضاعف
فو الله ما فارقتها عن قلى لها واني بشطي جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت على برحبها ولم تكن الارزاق فيها تساعف
وكانت كخل كنت أهوى دنوه وأخلاقه تنأى به وتحالف

المنهج الاجتماعي

المنهج الاجتماعي في الأدب: هو ذلك المنهج النقدي الذي يدرس ويحلل ويقوم بتأويل الصوص الإبداعية من منظور اجتماعي بمعنى انه يتعامل مع الظاهرة الأدبية باعتبارها ظاهرة اجتماعية ،

وحيث يسعى هذا الاتجاه النقدي الى بيان الصلة بين النص والمجتمع الذي نشأ فيه .

ويعتبر المنهج الاجتماعي من المناهج الأساسية في الدراسات الأدبية والنقدية، حيث انبثق في حضن المنهج التاريخي وتولد عنه ، واستقى مطلقاته الأولى منه، بمعنى ان المنطلق التاريخي كان هو التأسيس الطبيعي للمنطلق الاجتماعي عبر محوري الزمان والمكان. ولان العلاقة بين الادب والمجتمع علاقة جذرية متماسكة ولا يتولد فن عموماً ولا أدب خصوصاً الا في الجماعة. ولا يصح إذا قلنا إنه يولد فلانٌ فناً ليمتع لنفسه، أو يقول شعراً ليسمعه وحده. ثم من اين يستعد الفنان أو الشاعر انفعاله المبدع؟ أليس من تجاربه في بيئته و؟ وهل يقتبس صورة وقيمه الا من الثقافة التي

تلقاها منذ الصغر. ولأيمكن له ان يشعر برضى وراحة الا عندما يجد من يقرأ الشعر او يستمع اليه ، ومن يتمتع بالفن فيشاركه في الاحاسيس ويقدر الأنامل التي صاغت ونحتت. نحن لا ننكر ان لكل شاعر طابعاً خاصاً يميز شعره عن سواه وأن لشخصية الاديب وصياته النفسية دوراً بارزاً في موقفه الأدبي. لكن الأدباء والفنانين هم أبناء بيئتهم منها ينهلون، ويغترفون ، ويفرقون وفيها يشبع انتاجهم ، ويتدفق ابداعهم ، فلا أدب ولا فن الا في جماعة ومن اجل الجماعة ولا يمكن الغوص في أعماق الادب الا داخل الإطار الاجتماعي الذي منه ينطلق الادب واليه يلتفت

اذن هو منهج بربط بين الادب الاجتماعي وبطبقاته المختلفة ، فيكون الادب ممثلاً للحياة على المستوى الاجتماعي لا الفردي

رواد المنهج الاجتماعي

أولا /في النقد الغربي

من أشهر أعلام هذا المنهج ونظرية ما طبقه النقاد الماركسيون وبخاصة في روسيا بزعامة **كارل ماركس** الذي اعطى تغييراً موضوعياً للعلاقة بين الادب والمجتمع وعين لها موضوعاً داخل مجموعة العلوم الاجتماعية واعتبر الأدب واقعة اجتماعية تاريخية نسبية.

نجد كذلك المجري **جورج لوكاتش** الذي يرى ان الأدب ظاهرة تاريخية لها أصولها في أعماق كفاح الطبقات ويجب على الناقد ان يقع على القانون الذي يفسر حتمية العلاقة بين المجتمع والأدب والفن بصفة عامة. أي انه يرى الادب يعكس الواقع الاجتماعي والاقتصادي.

كذلك نجد **بلخانون** وهو أول الماركسيين الذي عنى عناية خاصة بربط الفكر الماركسي بالفن والادب حيث عُدّ مؤسس لعلم جمال الماركسي وله أيضاً كتاب الفن والحياة الاجتماعية.

وفي المانيا ظهر **هيجل** الذي قام بربط الشكل والمضمون وكان يرى ان العالم في تغيير مستمر كما أن التناقض دافع لكل تطور. وأيضاً ما قدمته **مدام ديستال** التي رأت ان الأدب يتغير بتغير المجتمعات وحسب تطور العلم والحركة والحرية والفكر والخ....

اذن كلهم اتفقوا على هذه العلاقة الموجودة بين الابداع الادبي والفنون بصفة عامة وبين المجتمع الذي يعيش فيه المبدع والاديب....

ثانيا/ النقاد لعرب

فقد ظهرت البذور الأولى لهذا المنهج في كتابات **أحمد أمين** و**سلامة موسى** وقد تجلى عندهما تفاعل الرؤيتين التاريخية من **سانت بين** و**هيبولين بين**، ثم تطور على يد **لويس عوض** الذي أجرى بحوثاً عديدة تهتم أساساً بإبراز تأثير الوسط الاجتماعي على الأثر الادبي أو الإبداع الادبي حيث حاول الربط بين الادب والسياق الاجتماعي فلأدب أذن نشاط لا ينفصل عن المجتمع ووظيفته تتمثل في تجديد الحياة عن طريق الخلق وترقيتها.

أي ان تحليله للأثر يوجه اهتمامه الرئيسي نحو مضمونه وحده لأنه يعتبر ان المحتوى مقدم على البناء.

ثم أهتم **محمود أمين العالم** بإجراء دراسة على عدد من الادباء وكانت نقطة البدء عنده فكرة أساسية مؤداها أن الأدب للمجتمع وان مضمون الأثر الادبي يعكس ذلك المجتمع أو ذلك الواقع كما يعكس مرافق اجتماعية معينة وان البناء الفني ليس سوى شكلاً لهذا المضمون.

أذن بينا هنا العلاقة بين المجتمع والأبداع الأدبي

ثم ان هناك دراسةً أخرى للناقد المغربي **محمد بنيس** الذي حاول ان يربط بين الابداع الشعري العربي والمعاصر والظواهر السوسيولوجية في المغرب العربي.

وأخذ النقد الاجتماعي حيزاً كبيراً من الكتابان النقدية الجزائرية تجلت هيمنته الشاملة عليها خلال العشرية السبعينية بصورة لافته ، ومن رواد هذا المنهج في الجزائر **عبد الله الركيبي ومحمد مصايف وزينب الأعوج ومخلوف عامر وأحمد طالب** وغيرهم.

سمات المنهج الاجتماعي:

ان للمنهج الاجتماعي سمات واسس تميزه عن باقي الخلفيات النقدية منها:

١:- يرى أن الأديب هو ابن بيئته لا يعيش معزولا عنها.

٢:- أن الإنتاج الأدبي هو جزء لا يتجزأ عن السياق الاجتماعي والواقع المعيش

٣:- الأدب صورة للمجتمع، ولسانه، ومرآة عاكسة للانتماء الطبقي للأديب.

٤:- الأدب يخاطب المجتمع وهو صورة منه

٥:- هو نقد مضموني أي يهتم بمضمون النص.

٦:- الأدب ناقل ومروج للأفكار السياسية.

٧:- النقد الاجتماعي نقد تفسيري يحاول الناقد من خلاله إبراز الدلالات الاجتماعية أو التاريخية الكامنة في العمل الأدبي

٨:- النقد الاجتماعي نقد تقويمي يعلي من شأن الأديب الملتزم بقضايا أمته.

وبفعل المثاقفة مع الغرب وتطور حركة الترجمة، فقد حظي المنهج الاجتماعي بتجاوب واسع من طرف النقاد العرب في المشرق والمغرب، خاصة في الربع الأخير من القرن ٢٠ ومن أبرزهم: سلامة موسى، لويس عوض، نجيب العوفي، صلاح فضل، حميد لحمداني وإدريس الناقوري وإدريس بالمليح ومحمد شكري عياد...

سلبيات المنهج الاجتماعي

هالك بعض السلبيات التي توجد في المنهج الاجتماعي. ولكل منهج سلبيات تؤثر به ومن هذه السلبيات:

١:- المنهج الاجتماعي لا يبدي اهتمامه لعنصر الجمالي للعمل الادبي فكلما اهتم بالشكل ابتعد عن خدمة المجتمع وان هذا يؤدي الى تقليب الغرض الاجتماعي

٢:- المضمون الادبي لا يستمد من واقع الحياة الاجتماعية وانما من موقف الاديب الفكري من الحياة في هذا المجتمع.

٣:- انه العامل الاقتصادي ليس المؤثر الوحيد في حياة الناس أو الأديب.

٤:- الأدب يتحرك بقوانين لغوية ولا يتحرك بقوانين اجتماعية.

٥:- انه يبتعد الأدب عن كل اشكال التحكم والسيطرة وغير مؤيد لنظم السياسية.

وعموما فقد تعددت مناهج النقد الحديث، ودار حولها نقاش وخلاف، من هذه المناهج: المنهج الاجتماعي الذي نشأ في حضن المنهج التاريخي، وهو منهج يدعو إلى ربط الأدب بالمجتمع، وتقاس جودة المبدع بمدى تصويره لهموم مجتمعه وطبقته تصويراً صادقاً. وهو منهج يعمد إلى قراءة النصوص الأدبية وتحليلها من وجهة تعبيرها عن الإنسان والمجتمع. وبهذا المعنى، فإن علم اجتماع الأدب باعتباره قسما من أقسام العلوم الاجتماعية، يبحث أساسا عن العلاقات التي تربط الإبداع الأدبي بالشروط الاجتماعية المؤثرة له، وذلك عبر التأويل الاجتماعي للإبداع وتتبع الخلفيات الاجتماعية المتحكمة في إنتاجه واستهلاكه، ومدى تعبيره عن الصراع الدائر في المجتمع.